المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:05، العدد:01 (2021)، ص478-496

الزواج المختلط عند طائفة يهود الجزائر 1870-1956

Mixed Marriage at the Jewish community of Algeria 1870 - 1956

نور فاطمة الزهراء*
جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
fatma.zohra.nour@univ-alger2.dz

فلة موساوي القشاعي
جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
fellamoussaoui@yahoo.fr

معلومات المقال
تاريخ الارسال:
2021/05/28
تاريخ القبول:
2021/06/06
الكلمات المفتاحية:
- ✓ يهود الجزائر
- ✓ مرسوم كريميو
- ✓ الزواج المختلط
- ✓ المستوطنين
- ✓ التعليم العلماني

الملخص:

أحدث مرسوم كريميو شرخا كبيرا في المجتمع الجزائري، وسلخ منه طائفة لطالما اعتبرت عبر التاريخ جزء لا يتجزأ منه إنها الطائفة اليهودية التي مع هذا المرسوم وجدت نفسها بعد سنة 1870 تندمج بصورة تدريجية من جهة ومتسارعة من جهة ثانية مع المجتمع الفرنسي خاصة والمجتمع الأوروبي عامة، هذا الاندماج مما سرع في وتيرته تلك الزيجات المختلطة التي حدثت عبر السنتين التي تلت 1870 بين اليهود والمعمرين سواء ذكورا أو إناثا، وما إن حلت فترة الخمسينات من القرن الماضي حتى أصبح هذا النوع من الزواج– أي الزواج المختلط– شيئا مألوفا.

Article info
Received:
28/05/2021
Accepted:
06/06/2021
Key words:
- ✓ Algerian jews
- ✓ Crémieux decree
- ✓ mixed marriage
- ✓ the settlers
- ✓ secular education

Abstract:

The issue of naturalizing of Jews of Algeria, following the issuance of the « Crémieux Decree », has created a major rift in Algerian society and fled from it a sect that has long been considered an integral part of it, since this sect found itself after this decree after the year 1870, gradually being regretted from one side with French community in particular and European society in general, this merger witch was quickly accelerated by those mixed marriages that occurred over the settlers, whet her male or female and once the 1950s came, this type of marriage – that is mixed marriage – became something familiar.

*المؤلف المرسل

الزواج المختلط عند طائفة يهود الجزائر 1870-1956

مقدمة

تلتزم الشعوب وأتباع الديانات بعادات خاصّة، فلكلّ طائفة أو مجموعة عرقيّة أو دينيّة منها طقوسها في الحياة سواءً كانت الدّينيّة أو الاجتماعيّة. ويعتبر الزّواج أحد أهمّ العادات التي تصل إلى حدّ التّقديس عند بعض الشّعوب لكونه يسهم في الحفاظ على المعتقد أو الدّين، ولكن الأمر قد يختلف بالنسبة للزواج المختلط الذي يعتبر أمرا غير مرغوب فيه بالنسبة للكثير من الشعوب خصوصا الأقليات منها، والتي تسعى دائما للحفاظ على عاداتها الخاصة بها، ولعل اليهود من أكثر الأقليات المنغلقة على نفسها التي لا ترحب بالأجانب، إلا أن واقعم في الجزائر بعد سنة 1870 عرف انحرافا عن هذه المبادئ. وسنحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء على واقع الزواج المختلط وسط الطائفة اليهودية بداية من سنة 1870، وذلك بالإجابة على الإشكالية التالية: **ما مدى تطور ظاهرة الزواج المختلط عند يهود الجزائر، وما هي العوامل التي ساعدت على ذلك؟**

1.الزّواج في الشّريعة اليهوديّة

الزّواج هو تلك العلاقة الشرعيّة التي تربط بين الرّجل والمرأة وقد شرّعته جميع الأديان السماويّة بما فيها الشّريعة اليهوديّة، ولا تنظر التّوراة إلى علاقة الرّجل والمرأة إلاّ من خلال مؤسسة الزّواج الذي تؤكّد على قدسيّته وتنعته بعبارة "**قدوشين**" أو "**عروسين**" وفيها معنى التّقديس والتّطهير الذي يعمّ الرّجل والمرأة عندما يرتبطان بالزّواج، فيرتقيان بهذا الرّباط الذّي يحقّق إرادة الرّب في تآنس الرّجل والمرأة وفي استمرار الجنس البشر[1]. وبهذا الصّدد جاء في سفر التّكوين ما نصّه "**وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا وملأوا الأرض**"، كما جاء في الكتاب المقدّس: "**امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك، وبنوك مثل غرس الزيتون حول مائدتك**" [2].

ومن خلال الشريعة اليهوديّة يتضح لنّا أن الزّواج واجباً دينيّا، بل أنّه أوّل المطالب التي وجّهها الله للإنسان، وقد حذّرت من ترك الزّواج وبقاء الرّجل أعزباً فقد جاء في التلمود "أنّ الذي لا يتزوج انّما يعيش بلا بهجة، بلا بركة، بلا مال، إنّ العازب ليس رجلا بمعنى الكلمة، حتّى أنّ المجموعة اليهوديّة تعتبر أن من يمتنع عن الزّواج إنّما يأثم بإراقة الدّم والانقاص من صورة الرّب، وإرغام الحضرة الإلهية على الابتعاد عن إسرائيل" لذلك فإنّه طبقاً للتّلمود تستطيع السّلطات إكراه الشّخص على الزّواج، فالذي يعيش دون زواج حتّى سنّ العشرين يكون ملعوناً من الرب[3]، وأنّ الأعزب يرتكب جريمة لا تقلّ عن جريمة القتل لأنّ عدم الزّواج سبيل لإطفاء نور الله[4]، و يعتقد اليهود أن الزواج يتقرر في السماء من قبل ميلاد الشخص، فقد ورد في المشناه: "**أنّه قبل ميلاد الطّفل بأربعين يوماً يعلن في السماء أنه سيتزوج بنت فلان**"[5].

2.المرأة والمرأة الأجنبيّة في الشّريعة اليهوديّة

بما أنّنا بصدد دراسة الزواج المختلط عن يهود الجزائر وهم جزء من بقيّة يهود العالم، علينا أن نفهم أوّلا موقفهم من المرأة عموماً سواءً يهوديّة كانت أو أجنبيّة.

الشّريعة اليهوديّة في عصورها الأولى نهجت نهج الشّرائع القديمة فنظرت للمرأة باعتبارها مخلوقاً منحطّاً عن مستوى الإنسانية التي تتمثّل في الرّجل وحده، فهي لا تعدوا أن تكون مجرّد سلعة أو بضاعة يمتلكها من يدفع الثّمن[6]، فقد جاء في سفر التكوين ما نصّه: "**وإذا باع رجل ابنته أمة، لا تخرج كما يخرج العبيد، إن قبحت في عيني سيدها الذي خطبها لنفسه يدعها تفك وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدرة بها...**"[7]، وفي نفس السفر نجد أن المرأة خلقت من الرجل و لأجله "**وقال الرب الإله: ليس جيّدًا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينا نظيره.**"[8].

ولكن هذا المعين في الخطاب الديني اليهودي نجس ومنجس، وهو يبالغ في الحديث عن نجاسة المرأة خاصّة في فترة حيضها فتبدو كمصدر للنجاسة يجب الابتعاد عنه ونبذه، بحيث لا يؤكل معها ولا تجالس أحدًا وتنام في فراش منعزل وغيرها من السلوكات المحقرة لها، وهذا ما نجده مفصلاً في سفر اللاويين، حيث ذكر: " **وإذا امرأة لها سيل وكان سيلها دماً في لحمها، فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من مسها يكون نجسا إلى المساء 20 وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجسا، وما تجلس عليه يكون نجساً 21 وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحمّ بماء ويكون نجسا إلى المساء 22....**"[9].

وعلاوة على نجاسة المرأة، فاليهود يعتبرونها أيضا تافهة وليست حكيمة ولذلك فهي لا ترث وشهادة مائة امرأة لا تعدل شهادة رجل واحد[10]، ولا يعتد بنذرها ولا بقسمها بنتا كانت أو زوجة، إلا إذا أيده الأب أو الزوج بسكوته،[11] وهذا بناء على ما ذكر في سفر العدد إذ جاء فيه: "**وأما المرأة فإذا نذرت نذرا للرّب والتزمت بلازم في بيت أبيها في صباها 4 وسمع أبوها نذرها واللازم الذي ألزمت نفسها به فإن سكت أبوها لها ثبتت كل نذورها، وكل لوازمها التي ألزمت نفسها بها تثبت 5 وإن نهاها أبوها يوم سمعه فكل نذورها ولوازمها التي ألزمت نفسها لا تثبت 6 وإن كانت لزوج ونذروها عليها أو نطق شفتيها الذي ألزمت نفسها به 7 وسمع زوجها، فإن سكت في يوم سمعه ثبتت نذورها ولوازمها التي ألزمت نفسها بها تثبت 8 وإن نهاها رجلها في يوم سمعه فسخ نذرها الذي عليها....9**"[12].

كما أنّ صلوات بني إسرائيل تتضمن وجوب حمد الرجل منهم وشكره لله في كل يوم على ثلاث نعم: أنه خلقه إسرائيليا، ولم يخلقه امرأة، ولم يجعله فظا غليظا.[13] كما لم تفوت الشريعة اليهودية أن تذكر بصفات المرأة السيئة، فقيل في النساء أنهن جشعات يتسامعن على الأبواب، كسالى وغيورات فوق أنّهن ثرثارات محبات للخصام، كما ورد في المشناه أن عشرة وسائل للكلام قد خلقت في هذا العالم أخذت النساء منها تسعة وسائل وتركن للرجال واحدة.[14] إضافة إلى كل هذه الصفات، عرف عن اليهوديات أنهن ساحرات ومشعوذات وعرافات. ويرجع بعض المهتمين بهذا الموضوع سبب انشغال المرأة اليهودية بهذه الممارسات والحرص على طقوسها إلى ابعادها عن شعائر الدين كالصلاة وقراءة التوراة التي يسهر عليها الكهنة، فأصبحت نتيجة الفراغ الديني كاهنة نفسها في شعائر السحر والشّعوذة[15].

ولعل كل هذه الأحكام المبالغ فيها عن المرأة في الشريعة اليهودية، جاءت نتيجة اعتبار المرأة عند اليهود هي مصدر الخطيئة وذلك عندما أكلت من شجرة المعرفة، وأطعمت معها آدم فطردا من الجنة إلى الأرض حيث الشقاء والتعب حسب سفر التكوين، فأصبحت رمزا لكل شرّ وسببا في كل إثم كما نقرأ في هذه النصوص: "**درت أنا وقلبي لأعلم ولأطلب حكمة وعقلا، ولأعرف أن الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمر من الموت: المرأة التي هي شباك وقلبها أشواك ويداها قيود الصالح قدام الله ينجو منها، أما الخاطئ فيؤخذ بها..**"[16].

إذا كانت هذه نظرة اليهود للمرأة اليهودية التي هي من عرقهم وعلى ملتهم، فوضع المرأة الأجنبية أسوأ وأكثر سوادً. وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى نظرة اليهود إلى الأجانب عامة –سواء كانوا ذكورا أو إناثا– أو كما يسمونهم "**الجوييم**"[17] ، وإلى جانب مفهوم "**الغوي**" هناك مفهوم آخر يتداول في اللغة اليديشية للتعبير عن الأغيار، وهو "**شيكسا**" وتعني الأنثى غير اليهودية والمذكر منها "**شيكتس**" وهي كلمة عبرية تعني حيوانا قذرا أو مخلوقا كريها أو الرجس. وهناك أيضا مصطلح "شايغتس" وتعني حيوان غير نظيف مقيتا أو شاب فاسد[18]، كما يعتبر اليهود أن غير اليهودي أحد أربع كائنات شيطانية إلى جانب الخنزير والكلب والحمار، والتي يجب على المرأة اليهودية العائدة من حمامها الطقسي الشهري أن تحاذر مقابلتها بوصفها مدنسة ونجسة. وذلك حتى لا تضطر إلى معاودة الاغتسال ثانية[19].

ويرى اليهود أن الله لم يخلق "**الغوييم**" إلا لتمجيد بني إسرائيل وخدمتهم ليلا نهارا، لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة كما أنه من اللائق أن يقوم على خدمة الأسياد "**الأنقياء**" حيوانات في أشكال طبيعية إنسانية، ولأجل هذا كله لا يمكن لهؤلاء الغوييم أن يسودوا على بني إسرائيل أو يكونوا ملوكا عليهم[20].

إذن إذا كان هذا موقف اليهود من الأغيار فليتصور كل واحد منا موقفهم من نساء الأغيار؟ فبالنسبة إليهم كل النساء غير اليهوديات عاهرات فاسدات وهن بمنزلة البهيمة واليهودي لا يخطئ عندما يزني بامرأة أجنبية، بل إن له حق اغتصاب النساء الأجنبيات دون أن يكون قد اقترف ذنبا وأن وظيفتهن غواية الأطهار من بني إسرائيل[21].

3. الزواج المختلط في الشريعة اليهودية

وانطلاقا من كل هذا جاء تحريم الزواج بالأجنبيات في الشريعة اليهودية والنصوص الدينية حول هذه المسألة متعددة، فنجد نبي الله إبراهيم العبري ينفر من الزواج بالأجنبية، ويستحلف خادمه أن يأخذ ابنه إسحاق إلى "**آرام**" – بلد إبراهيم– وأن يزوجه هناك لا أن يختار له زوجة من بلاد كنعان، إذ يقول: "**فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم** [4] **بل إلى أرضي والى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق**" [22].

وقد ساهم حاخامات اليهود في تعميق هذا الاتجاه الانفصالي، فنجدهم قد أعادوا تفسير خطر الزواج من أبناء الأمم الكنعانية الوثنية، ووسعوا نطاقه بحيث أصبح ينطبق على جميع الأغيار دون تمييز بين درجات

عليا ودنيا[23] خاصة أن "**رفقة**" وزوجها "**إسحاق**" رفضا زواج ابنهما "**عيسو**" من الحثيات إذ جاء في سفر التكوين: "**ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجه: يهوديت ابنة بيري الحثي، وبسمة ابنة إيلون الحثي. فكانت مرارة نفس لإسحاق ورفقة**" [24]. وزادت رفقة على ذلك بقولها لإسحاق أنها تفضل الموت ولا ترى ابنها الآخر "**يعقوب**" يتزوج من بنات حث: "**مللت حياتي من أجل بنات حث، إن كان يعقوب يأخذ زوجة من بنات حث مثل هؤلاء من بنات الأرض، فلماذا لي حياة**" [25].

وفي سفر الأمثال تحذير قوي من خطورة الزواج بالأجنبيات: "**1 يا ابني، احفظ كلامي، وادخر وصاياي عندك2، احفظ وصاياي فتحيا، وشريعتي كحدقة عينيك.3 اربطها على أصابعك، أكتبها على لوح قلبك. قل للحكمة4: أنت أختي وادع الفهم ذا قرابة.5 لتحفظك من المرأة الأجنبية، من الغريبة الملقة بكلامها.**"[26].

ويتذرع اليهود بخطر الزواج المختلط بأمور كثيرة منها: كما سبق الذكر هو موقفهم من الأغيار، والخوف من التشويش على صفاء العرق الإسرائيلي والخوف من الارتداد عن الدين[27]، وذلك كما حدث مع سليمان عليه السلام-على حسب ما جاء في الشريعة اليهودية- عندما اتخذ زوجات من جنسيات مختلفة، إذ جاء في سفر الملوك ما نصه: "**وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات وعموريات وأدوميات وصيدونيات وحثيات 2 من الأمم التي قال عنهم الرب بني إسرائيل: "لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم" فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة 3 وكانت له سبع مئة من النساء السيدات. وثلاث مئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه 4 وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه....**"[28].

ويعتبر سفر التثنية وهو المعروف أيضا بسفر التشريع أكثر من شدّد على حرمة الزواج بالأجنبيات والخوف من تأثيرهن على اليهود من الوثنية قائلا: "**متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك: الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والغرزيين والحويين واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك 2 ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم 3 ولا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك 4 لأنه يرد ابنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى،...**" [29].

من خلال كل هذا يتضح لنا أن الديانة اليهودية بالغت في تحريم من يتزوج من اليهود بالأجنبيات، وليس هذا فحسب بل يبطل عقد الزواج وتفسخ الخطبة إذا اعتنق أحد أفراد أسرة العريس أو العروس دينا غير اليهودية باعتبار أن الأمر يمس بشرف العائلة[30]. ونحن لا نجانب الصواب إذا جزمنا وقلنا أن هذه المعتقدات فاسدة، ولا أساس لها من الصحة وما هي إلا من وضع أحبارهم وحاخاماتهم وذلك بدليل ما جاء في النصوص اليهودية نفسها، فهذا إبراهيم عليه السلام والذي لم يرد أن يزوج ابنه إسحاق من أجنبية هو نفسه تزوج من "**هاجر**" المصرية ثم تزوج من "**قطورة**" بعد وفاة "**سارة**" [31]، وهذا حفيده "**يعقوب** عليه السلام" أبو الأسباط تزوج جاريتا زوجتيه

"**بلهة**" و"**زلفة**" وهما أجنبيتان، كما أن ابنه "**يوسف**" من زوجته "**راحيل**" تزوج بدوره من مصرية وهي: "**أسنات بنت فوطي فارع كاهن مدينة أون**" [32]، أما موسى عليه السلام وهو النبي الذي نزلت عليه التوراة وهذه التعاليم وهو في مدين – وأهلها قوم من العرب– تزوج من ابنتين من أهلها والمشهور عند الكثيرين أنهما ابنتا شعيب عليه السلام[33]، كما اتخذ زوجة حبشية رغم معارضة أخاه "**هارون** عليه السلام" وأخته "**مريم**" التي تكلمت عنه بسوء بسبب زواجه هذا، فيغضب الرب لأجله ويجعل مريم برصاء كالثلج[34].

ولعل خير دليل نقتد به دعوى اليهود في تحريمهم لمصاهرة الأجانب هو أن كتابهم المقدس في حد ذاته خصص سفرا بأكمله لامرأة أجنبية هي: "**راعوت المؤابية**" والتي كانت جدة "**داود** عليه السلام" الذي بدوره تزوج من أرملة "**تابال الكرملي**" وكذا أخينوعم اليزرعيلية فيولد له منهما "**كيلأب**" و"**أمنون**" [35].

4. واقع الزواج المختلط بين اليهود والأوروبيين في الجزائر نهاية القرن 19م

قبل صدور مرسوم كريميو[36]، كان يهود الجزائر يعتبرون أهالي شأنهم شأن المسلمين سكان البلاد الأصليين، ولهذا فالحديث عن زواج مختلط بين يهود الجزائر وبين المستوطنين الجدد الذين حلوا بالبلاد بداية من 1830 من ثانويات القضايا، لأن إحصاء هذه الحالات لم تكن تثير الانتباه، ويكفي أن نذكر أن ما بين 1830 و1877 تم تسجيل 17 عقد قران بين يهود ومسيحيات [37].

إلا أنه بعد صدور **"مرسوم كريميو"** وبداية العمل به تغيرت أوضاع الجزائر. ومع نهاية القرن التاسع عشر كان هؤلاء اليهود قد اعتنقوا فكرة أنهم فرنسيين وكانت لديهم أسبابهم (الخاصة) القوية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كي يؤمنوا بذلك إذ أن الجنسية الفرنسية قد منحتهم الحق في الانتخاب أو فتحت أمامهم فرص الوظائف المدنية والعسكرية، وكمواطنين أصبح لأبنائهم الأفضلية في دخول المدارس، ومع بداية القرن العشرين كان جيل بأكمله من اليهود مواطنين فرنسيين منذ الولادة[38]. لكن رغم هذا فإن الإحصاءات المسجلة الخاصّة بالزواج المشترك سواء بين اليهود والأوروبيات من جهة أو اليهوديات بالأوروبيين من جهة أخرى ظلت منخفضة خلال هذه الفترة، هذه الإحصاءات التي زودنا بها كبير حاخامات الجزائر "**موريس إيزنباث**"، وهي رسمية نشرتها الحكومة العامة بالجزائر وتشمل مقاطعات البلاد الثلاثة[39] الجزائر، قسنطينة، وهران. ففي سنة 1873 سجلت السلطات الفرنسية 335 عقد زواج بين يهودي ويهودية في حين أنها لم تسجل سوى عقد زواج واحد بين يهودي وأوروبية، وعقد زواج واحد أيضا بين يهودية وأوروبي وتم تسجيل أعلى نسبة زواج مختلط بين يهودي وأوروبية سنة 1883 حيث تم عد 6 عقود زواج بمقابل 387 عقد بين يهودي ويهودية، أما فيما يخص زواج الإسرائيليات فأعلى نسبة تم تسجيلها بزواجهن خارج الطائفة اليهودية فكان ما بين سنتي 1881 و1882 إذ تم إحصاء 5 عقود على التوالي بين اليهوديات والأوروبيين[40].

هذه الإحصاءات المسجلة للزواج المختلط تعبير ضعيفة مقارنة بمجموعة عقود الزواج المسجلة داخل الطائفة اليهودية من جهة، وبمقارنة عدد السكان الإجمالي لليهود أو الأوروبيين (المستوطنين) فأقرب إحصاء

رسمي للسلطات الفرنسية للسكان عموما لهذه الفترة، والذي كان سنة 1881 قدر عدد السكان اليهود بـ: 35.633 إسرائيلي في حين أن عدد المستوطنين بلغ 432.252 نسمة[41] أي ما مجموعه 467.915 نسمة، ومع ذلك لم نسجل خلال هذه السنة سوى سبعة عقود زواج مشتركة منها عقدين فقط بين يهودي وأوروبية وخمسة منها بين يهوديات وأوروبيين.

والجدول التالي يوضح لنا أعداد عقود الزواج المختلطة من 1873 إلى 1884 ومقارنتها بعقود الزواج داخل الطائفة اليهودية[42].

السنوات / الزواج	1873	1874	1875	1876	1877	1878	1879	1880	1881	1882	1883	1884
ما بين يهودي ويهودية	335	338	295	349	328	346	302	387	394	338	387	372
ما بين يهودي ومسيحية	01	04	0	02	03	03	02	03	02	04	06	01
ما بين مسيحي ويهودية	01	01	02	1	2	3	3	3	5	5	1	4

من خلال تحليل بسيط لهذا الجدول يتضح لنا أن عقود زواج اليهود فيما بينهم مستقرة تقريبا وليس هناك تباين كبير في الأرقام، وهي إجمالا تفوق 300 عقد زواج سنويا وذلك من الفترة الممتدة من 1873 إلى 1884، وبلغ فارق العقود بين أعلى رقم وأدنى رقم 99 عقد زواج وهو نمو طبيعي مع زيادة عدد السكان.

أما بالنسبة لعقود الزواج المختلطة فهي على حد تعبير "**إيزنباث**" ''حقا ضئيلة''[43]، وهي بدورها مستقرة ولا تعرف فارقا كبيرا فهي ما بين عقد واحد وستة عقود كأعلى رقم سجل مرة واحدة وذلك خلال سنة 1883 ما بين اليهوديين و (الأوروبيين) الأوروبيات، ومجموع كل العقود ما بين 1873 و1884 أي خلال إحدى عشر سنة بلغ 31 عقد زواج بين الإسرائيليين والأوروبيات.

أما بالنسبة لعقود زواج الإسرائيليات بالأوروبيين فقد تم إحصاء 31 عقد زواج مشترك بمعنى نفس عدد عقود زواج اليهود بالمسيحيات، الملفت للنظر بالنسبة لعقود زواج اليهوديات بالمستوطنين المسجلة خلال الثمان سنوات الأولى –أي من 1873 حتى 1880– والتي بلغ عددها 16 عقدا، قاربت أن تساوي عقود الزواج المسجلة خلال الأربع سنوات التالية –أي من 1873 إلى 1880– والتي بلغ عددها 15 عقدا، أي ما فارقه عقد زواج واحد فقط.

وهذا دليل على تسارع وتيرة الاندماج اليهودي وسط المجتمع الأوروبي، وأن الذهنية اليهودية بدأت تتغيّر، وأنه أصبح بوسع المرأة أو الفتاة الإسرائيلية أن تختار زوجها بنفسها دون تدخل ولي أمرها حتى وإن كان هذا الزوج خارج الملة اليهودية وهذا ما كان محظورا أو غير مقبول من قبل وهذا ما جعل وتيرة الزواج المختلط في ارتفاع مستمر. ورغم قلة عقود الزواج المختلط إلا أنها ظلت في ارتفاع مستمر، فإذا كان مجموع

ما تم احصائه من زواج مشترك ما بين 1873 إلى 1884 هو 62 عقد قران، فإنه ما بين 1884 و1896 تم تسجيل 124 عقد زواج مختلط[44] أي أن العدد تضاعف خلال نفس المدة الزمنية –ألا وهي 12 سنة–.

5. أسباب انخفاض الزواج المختلط لليهود خلال هذه الفترة

سبق وذكرنا أن الأرقام الرسمية المتعلقة بزواج اليهود من الأوروبيات أو زواج اليهوديات من الأوروبيين ظلت ضعيفة حتى بعد صدور "**قانون كريميو**" وإلى غاية نهاية القرن 19 وذلك لأسباب عديدة يمكن أن نلخصها فيما يلي:

1.5. تغلب الطابع الديني على ذهنيات أغلب يهود الجزائر خلال هذه الفترة

لقد أشرنا فيما سبق أن الديانة اليهودية تحرم الزواج المختلط لكلا الجنسين، ورغم أن يهود الجزائر ألحقوا قانونيا بالمجتمع الأوروبي الغربي، وسلخوا من واقعهم الشرقي الأمازيغي بمقتضى مرسوم كريميو إلا أنهم بقوا محافظين على ديانتهم وملتزمين بعقائدها التي تنص على حرمة الاختلاط بالأجانب عموما، كما أن الكثير منهم خاصة "يهود الصحراء لم يكونوا قد استفادوا بعد من مرسوم" **كريميو"**[45] وكان عددهم بحسب إحصاء 1881، 4311 نسمة[46]، ونفس الشيء يقال عن يهود المناطق الداخلية وإن كان قد مسهم المرسوم إلا أنهم بقوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم، خصوصا وأنه حتى نهاية "القرن 19" لم يكن قد مضى على هذا المرسوم سوى ثلاثون سنة، وهي مدة غير كافية لقلب المفاهيم جذريا وتغيير الذهنيات والقبول بالواقع الأوروبي الغربي الجديد.

حتى أنه وجد من اليهود من رفض مرسوم كريميو، يهود قسنطينة مثلا والمعروفين بمحافظتهم الشديدة أبدوا تحفظات كبيرة اتجاه المرسوم، بلغت أحيانا حد معارضته بسبب تخوفهم من تأثيره على هويتهم ودينهم، وتساءلوا إن لم يكن هذا المرسوم يتنافى أساسا مع الشريعة اليهودية، لكنهم لم ينتظروا طويلا حتى قدمت لهم فتوى تبيح التجنس بالجنسية الفرنسية، وفي مدينة الجزائر عارض **"هنري طوبيانا"** المرسوم واعتبر من أبرز المعارضين والمتحفظين منه، وعبر عن موقفه منه في مقال عنوانه **"اليهودي هل هو فرنسي؟"**، وبلغت المعارضة لدى بعض العائلات اليهودية مثل "**القج**" و**"إلياهو القج"** إلى حد الهجرة من الجزائر، هذه العائلات استقرت في تونس احتجاجا على التجنيس الجماعي وبقيت نسبة معينة من اليهود في الجزائر رافضة حتى لتسجيل عقود الزواج بالبلدية[47] .

2.5. تأثير أحداث "معاداة السامية" بالجزائر خلال هذه الفترة:

لعل من أهم أسباب عدم تنامي ظاهرة الزواج المختلط في الجزائر بين اليهود والمستوطنين أحداث معاداة السامية فقد كان لها دور كبير في تعطيل الاندماج الكلي لليهود في المجتمع الغربي. ومخطئ من يظن أن العداء كان مستحكما بين المسلمين واليهود بالجزائر، فقد عاش اليهود طيلة قرون طويلة في ود وسلام مع المسلمين، عليهم ما على أهل الذمة من قوانين، وبهذا الصدد يقول أحمد توفيق المدني: **"كانوا معتبرين**

عنصرا أهليا وطنيا إلى أن ألحقهم بالعنصر الفرنسي قانون 24 أكتوبر 1870...، وكان اليهود يلقون في الجزائر كل حفاوة وإكرام ويعاملون معاملة الرعية التي لها ما للمسلمين وعليها ما عليهم"[48].

واليهود أنفسهم يعترفون في كتاباتهم أنهم عاشوا مع المسلمين في الجزائر دون مشاكل وأنه لم يكن هناك عداء بينهما، فهذا **"ريمون بنيشو"** –وهو من يهود وهران– قال صراحة: **"إذا كانت هناك عداوة نظامية ظهرت ضد اليهود في نهاية القرن الماضي –يقصد القرن19– لم تكن من طرف المسلمين وإنما من طرف الأوروبيين... خلال هذه الفترة، المسلمون بقوا خارج الحلبة، الانفعالات الجموحة التي أحدثت الضجة محركها عموما أجانب، والمنافسة في المصالح ما بين المسلمين واليهود بحثنا فيها بلا جدوى. المسلمون أغلبهم كانوا رعاة غنم أو فلاحين في حين أن الآخرين كانوا مرتبطين بنشاطات المدينة، العلاقات على العموم كانت على وفاق تام"**[49]. إذن فعندما نبحث في قضية معاداة السامية في الجزائر فهي مرتبطة بمعاداة الأوروبيين لليهود، والظاهر أن هذا العداء استفحل وزاد شدة بعد صدور مرسوم كريميو، فأغلب الأوروبيين لم يتقبلوا فكرة مساواة اليهود بهم خصوصا أنهم كانوا يعتبرونهم أقل شأنا وقيمة منهم.

وتعتبر الكتب التي صدرت عن الفرنسيين في تلك الفترة أصدق تعبير عن ذلك، ولعل أشهرها كتاب **"ادوارد دريمون"** الذي صدر سنة 1886 والمعنون بـ: **"فرنسا اليهودية"** هذا الكتاب الذي تحول إلى انجيل لدى الشباب المعمرين لأكثر من عقدين من الزمن، وأثر تأثيرا عميقا على الرأي العام في أوساط الأوروبيين بالجزائر[50]. وفي نفس هذه الفترة أصدر المهندس **"رودون"** جريدته "المناهض لليهود" وأسّس **"الرابطة الراديكالية المعادية لليهود"**. كما أن الصحفي **"غورجو"** نشر كتاب تحت عنوان "السيطرة اليهودية في الجزائر" والذي نصح فيه بطرد وترحيل كل يهود فرنسا والجزائر[51]. وعلى نفس منوال **"دريمون"** ألف "جورج ميني" كتابه **"الجزائر اليهودية"** الصادر سنة 1887 والذي أهداه إلى كل من **"ادوارد دريمون"** و**"جاك دوبيي"** صاحب كتاب **"المسألة اليهودية"** الفريد من نوعه على حد تعبير **"مينيي"** وذكر **"مينيي"** أن الهدف من نشر كتابه **"الجزائر اليهودية"** ما يلي:

"على الفرنسي الذي بفضل السيد أ.د دريمون أصبح مطلعا على مناورات اليهود بفرنسا، أن يكون متشوقا إلى معرفة تأثيرهم على إخوانهم في الدين في فرنسا الثانية التي نطلق عليها اسم الجزائر: إنه الهدف الذي اقترحناه لنشر الجزائر اليهودية."[52]. ولم يتوقف **"جورج مينيي"** عند هذا الكتاب بل أتبعه سنة فيما بعد – أي سنة 1888– بنشر كتابه الآخر: **"اليهود في الجزائر"** وهو كتاب يفضح فيه اليهود وكل ممارساتهم الربوية واستغلالهم للمعرين والمسلمين على حد السواء بالجزائر، ومعبرا عن كرهه ونقمته على اليهود ودليل ذلك قوله: **"قام هؤلاء الطفيليون المرضى بتشتيت محيطنا الاجتماعي، فهم لم يكتفوا باستنفاذ حيويتنا بل قاموا بتهديم أخلاقياتنا"** ثم يضيف قائلا: **"تحكم فينا عباد المال بالعملة ونشروا بيننا وباء مذهبهم، ومن أجل أن نرجع نحن سادة أنفسنا يجب علينا دون تردد أن نسحق رأس الأفعى التي قمنا بتدفئتها في عقر دارنا".**

"وبعد إنارة عقول الشباب يصبح من الواجب على الرجال الذين يرأسون الحركة المعادية للسامية أن يجدوا وسيلة فعالة من أجل القضاء على هذا الورم الفتاك..."[53].

ولم تتوقف معاداة السامية ومناهضة اليهود عند حد النشر والتعبير عنها في الكتب والجرائد بل تعدى الأمر إلى حد المواجهات المباشرة بين الأوروبيين واليهود في مختلف مقاطعات الجزائر، ولا يسعنا في هذا المقام التطرق إلى جميعها فذلك يحتاج إلى دراسة في حد ذاتها ويكفي أن نشير إلى أهمها.

لقد انتهز الأوروبيون المعادون لليهود بالجزائر فرصة ظهور قضية **"دريفوس"**[54] بباريس في أكتوبر سنة 1984 للثورة على اليهود، فاندلعت عدة مواجهات بين الطرفين ولعل أكبرها التي بدأت يوم 20 جانفي 1898 بمدينة الجزائر والتي أسفرت عن مقتل يهوديين ومئات الجرحى وأضرار مادية كبيرة لحقت بممتلكات اليهود – 138 مؤسسة يهودية خربت–[55] .

توالت موجة العداء هذه بنجاح المعادين لليهود في الانتخابات، ففي 08 ماي 1898 أصبح **"ادوارد دريمون"** السالف الذكر نائبا عن مدينة الجزائر، والمعادي الآخر **"إميل مورينو"** نائبا عن قسنطينة **و"فرمان فور"** عن وهران، بعدها فاز أكثر المعادين لليهود **"ماكس ريجس"** في الانتخابات البلدية في نوفمبر من نفس السنة وعين رئيس بلدية الجزائر[56].

كل هذه الظروف والأوضاع باعدت بين الأوروبيين ويهود الجزائر وجعلت الزواج فيما بينهم يقل خلال هذه الفترة، وقد لخص **"هنري مسلاتي"** –وهو أحد أعلام يهود الجزائر– كل هذه الأمور فيما يلي: فإن معاداة السامية الصادرة عن عدد من الأوروبيين ظلت دائما ظاهرة خاصة في الجزائر، لا يمكن أن نطرح مسألة تجريم كل هؤلاء السكان الأوروبيين الذين لم يبد العديد منهم أي عداء خاص اتجاه يهود الجزائر والذين شكل البعض منهم على مر السنين أواصر الصداقة معهم سواء عن طريق الجيرة، علاقات مهنية، معارف مدرسية، مؤاخاة في السلاح. من المؤكد أن الناس كانوا يتبادلون الزيارات أحيانا ولكن يمكن أن نضيف بأن الزواج المختلط ظل قليلا، كل عائلة تدافع عن تقاليدها الدينية وعن أصولها عشنا جنبا إلى جنب نلتقي مع بعضنا البعض لكن لم نختلط[57] .

6. واقع الزواج المختلط بين اليهود والأوروبيين مطلع القرن 20 وحتى منتصف خمسينياته

أما مع مطلع القرن العشرين، فوتيرة الزواج المختلط أخذت في الازدياد بشكل ملحوظ لدرجة نستطيع القول أن اليهود خصوصا يهود المدن الكبرى كمدينة الجزائر ووهران قد اندمجوا ولو ظاهريا في الجسم الفرنسي على حد تعبير المدني، وحاولوا بكل وسيلة أن ينسلخوا عن صبغتهم اليهودية الرسمية ما عدا الدين[58]، وكان الزواج والاختلاط بالأوروبيين وسيلتان لتحقيق ذلك. فقد تم تسجيل سنة 1911 ما عدده 319 زواج بين اليهوديات وغير اليهود في الجزائر مقابل 304 عقد زواج بين اليهوديات واليهود، هذه الإحصاءات زودنا بها **"دومونتاس"** ونشرها في الجزائر الاقتصادية الجزء الثاني[59]، إلا أن **"لموريس إيزنباث"** رأي آخر حول هذه الأرقام فقد استغرب منها قائلا: "**هذا الزعم فيه ما يثير الحيرة، في حين أنه سنة 1884 لم يكن هناك سوى**

4 عقود زواج ما بين اليهوديات وغير اليهود بالنسبة للجزائر كاملة، نجد أنها أصبحت 319 في سنة 1911!" [60].

إذن أنهى **"إيزنباث"** كلامه بعلامة تعجب، كيف لا وهو حاخام وطبعا لم يكن ليرضى أن تتزوج بنات ملته من غير الإسرائيليين.

ومع ذلك فإن الأمر حقيقة يدعو إلى الريبة، فهل خلال 27 سنة ترتفع الأرقام بهذا الشكل المثير للانتباه؟ والأغرب أن عدد عقود زواج اليهوديات بغير اليهود يفوق عدد عقود زواج اليهوديات باليهود وذلك بفارق 16 عقد زواج. وإن كنا لا ننكر أنه أصبحت هناك ظروف تساعد على ارتفاع وتيرة الزواج المختلط لدى اليهود عموما سواءً ذكور أو إناثا، إلا أن هذا الارتفاع قد لا يصل إلى مثل هذه الأرقام ونحن نعلم طبيعة المرأة اليهودية وكيف أنها لا تتحكم في قرار زواجها أو اختيار الزوج خاصة إذا كان خارج الطائفة اليهودية، وحتى سنة 1911 لم يكن قد مضى على **"مرسوم كريميو"** سوى 41 سنة، وهي مدة لا تكفي بالنسبة لليهود لقلب المفاهيم خصوصا التي تتعلق بالدين، وقد يصبح الأمر مقبولا بالنسبة للرجال أما بالنسبة للنساء فقد يتطلب الأمر وقتا أطولا.

وما يدعم كل هذه الفرضيات هو أن **"إيزنباث"** زودنا بمجموعة من المعطيات حاول من خلالها التشكيك في تلك الأرقام. إذ ذكر أنه في سنة 1911 تم تسجيل 127 عقد زواج ما بين الإسرائيليين في مدينة قسنطينة وستة من محافظاتها، في حين أن الإحصاءات العامة للجزائر لنفس السنة سجلت 603 عقد زواج ما بين يهودية ويهودي[61]، فإذا قمنا بعمليات حسابية بسيطة كأن نطرح 127 من 603 نجد أن عقود الزواج داخل الطائفة اليهودية في كل من مقاطعتي الجزائر ووهران هو 476 عقد زواج، وبالتالي فإن في كل مقاطعة من هاتين المقاطعتين تم تسجيل ما يقارب 238 عقد زواج ما بين الإسرائيليين. من جهة أخرى، إذا قمنا بتقسيم 319 على المقاطعات الثلاثة للجزائر نتحصل تقريبا على 163 عقد زواج ما بين اليهوديات وغير اليهود وهذا بغض النظر عن عدد عقود زواج اليهود من غير اليهوديات التي لم يذكرها **"دومونتاس"** في كل مقاطعة. وهذا ما معناه أن الزواج ما بين اليهوديات وغير اليهود بمقاطعة قسنطينة مثلا –163 عقد– أكثر من عقود زواج اليهود فيما بينهم –127 عقد– وهذا الأمر غير مقبول تماما ومنه نستنتج أن إحصاءات **"دومانتاس"** خاطئة. وزيادة على هذا فقد اطلع **"ايزنباث"** على سجلات الحالة المدنية لقسنطينة وسجل ما يلي:

- عقود الزواج سنة 1911 ما بين يهودية ومسيحي 0، وما بين يهودي ومسيحية 0.
- عقود الزواج لسنة 1929 ما بين يهودية ومسيحي 05، ويهودي ومسيحية02 .

ويضيف **"ايزنباث"** بأنه مقتنع بأن قراءة سجلات الحالة المدنية الخاصة بالإسرائيليين في كل من مقاطعتي وهران والجزائر سوف تقلل تماما إحصاءات **"دومنتاس"** إلى لا شيء[62]. ولكن هذا لا يمنع من أن أرقام عقود الزواج المختلط كانت في ازدياد مستمر، وما إن حلت سنة 1941 حتى وصلت هذه الأرقام إلى أكثر من ألفين – نشير فقط إلى أن شوراقي في تقديمه لهذه الإحصاءات أخطأ في عمليات الجمع، فقد ذكر

أن مجموع عقود الزواج المختلط في مقاطعة الجزائر هي 1148 في حين أن العدد الصحيح هو 1108، و أن مجموع عقود الزواج في المقاطعات الثلاثة هو 2079 في حين أن العدد الصحيح هو 2039، ونحن لا نعلم إن كانت أخطاء مطبعية أو أن شوراقي أخطأ.- وسوف نفصلها في الجدول التالي والذي يوضح عقود الزواج المختلط لسنة 1941:[63]

المقاطعات / الزواج	الجزائر	وهران	قسنطينة	المجموع
ما بين يهودية وغير يهودي	503	223	185	915
ما بين يهودي وغير يهودية	605	428	95	1128
المجموع	1108	651	280	
العدد الإجمالي: 2039 عقد زواج مختلط				

من خلال هذا الجدول يتضح لنا أن عقود الزواج المختلط في الجزائر بين اليهود والمستوطنين بعد أن كانت لا تتجاوز العشرات نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت مع بداية أربعينات القرن العشرين تصل إلى المئات في كل مقاطعة. والظاهر أن مقاطعة الجزائر سجلت بها أعلى نسب الزواج المختلط ثم تليها مقاطعة وهران ومقاطعة قسنطينة، وهذا طبيعي نظرا لعدد اليهود في كل مقاطعة، ففي إحصاء السكان العام للجزائر لسنة 1941 يتبين لنا أن اليهود خلال هذه الفترة كانوا موزعين على الشكل التالي:

مقاطعة الجزائر 34.742 إسرائيلي ومدينة الجزائر لوحدها بها 30.990 يهودي.

مقاطعة وهران 50.413 إسرائيلي ومقاطعة قسنطينة 25.614 إسرائيلي[64]

كما أن ما يشد الانتباه من هذا الجدول هو إقبال الإسرائيليات على الزواج المختلط وأصبحن حتى ينافسن اليهود الرجال، بل نجد أن في مقاطعة قسنطينة الإناث سجلن تقريبا ضعف ما سجله الرجال من عقود الزواج المشتركة. وإذا كان هذا حال وواقع الزواج المختلط في الشمال، فإن حاله في الجنوب كان أكثر سوءً، كانت ظاهرة الزواج المختلط نادرة جدا، ففي مدينة الجلفة وخلال تقريبا قرنا من الزمن تم تسجيل 4 عقود زواج فقط: -زواج القوزي El Gogzi- وزواج -ليفي شبات Lévi Shebat- وكان من أعيان الطائفة وقد تزوج مسيحية بعد طلاقه من يهودية، وزواج ماكسيم دارمون Maxime Darmon وهو طبيب زوجته تحولت إلى اليهودية فيما بعد كانت تعمل معلمة بالجلفة. أما رابع حالة فهي زواج السيد **"سلطانة Soltana"** ذو الأصول المالية والذي وصل إلى الجلفة سنة 1920، وكان يعمل سائقا وميكانيكيّا تعرف إلى فتاة طالبته بالتحول إلى اليهودية فوافق وتم تعميده سنة 1934 عن عمر ناهز 47 سنة من طرف الحاخام **"إلياهو شقرون"** من

المدية وأصبح سولطانة معروفا بتدينه وتقواه وأصبح بسرعة عضوا في **"هافرا كاديشا Havra Kadisha"** وهي جمعية عضوة في الواجب الأخير [65].

7. أسباب اقبال اليهود ذكورا وإناثا على الزواج المختلط

1.7. اختلاط يهود الجزائر بالأوروبيين

سمح "**مرسوم كريميو**" ليهود الجزائر الذين كانوا قبل هذا المرسوم أهالي شأنهم شأن باقي الجزائريين، من أن ينسلخوا عن ماضيهم، ويدخلوا مرحلة جديدة شكلت منعرجا حاسما في تاريخهم وحتى تاريخ فرنسا الاستعمارية. واعتبر هذا المرسوم ثورة فعلية في مسار تاريخهم بالجزائر، فقد طمس هويتهم الجزائرية وفصلهم عن بيئتهم الثقافية الاجتماعية لكنه فتح لهم بالمقابل أفاقا جديدة واسعة غيرت مجرى حياتهم من الناحية الماديّة من حيث الثروة والنفوذ والمواقع الجديدة في المجتمع في جميع النواحي[66]. ومع مرور الوقت أصبح تداخل اليهود بالأوروبيين أكثر عمقا، وعرف التغريب دفعا أكبر خصوصا بوجود الزواج المختلط بأعداد كبيرة[67].

2.7. تأثير التعليم العلماني

إن الطبيعة العلمانية للتعليم الفرنسي شكل بالنسبة لليهود ميل قوي نحو فقدان الشخصية اليهودية –سواء بالنسبة للذكور أو الإناث– وخاصة في المدن، حيث لا توجد في مدينة الجزائر إلا مدرسة "تلمود توراة" واحدة يحضرها 300 تلميذ في أثناء إجازة المدارس الفرنسية، وفي وهران وجدت مدرسة "تلمود توراة" واحدة يحضرها 325 طالبا، وفي تلمسان وجد بناء فارغ لمدرسة "تلمود توراة"، كما أن تدريس اللغة العبرية التي تولتها بعض المؤسسات التعليمية كان ضعيفا، أما الطوائف اليهودية في الجنوب فظلت المدارس ذات البرامج الدينية والعبرية أكثر تأثيرا كمدارس "تلمود توراة" التي يحضرها حوالي نحو 1014 تلميذا، ولكن أصحاب المهن والأثرياء من يهود هذه الطوائف في الجنوب كانوا يرسلون أولادهم إلى المدارس الفرنسية العامة[68].

وفي سنة 1930 تم إحصاء 208 تلميذ إسرائيلي بثانوية قسنطينة مقابل 364 تلميذ فرنسي وأوروبي واحد و120 مسلم[69]. وما إن حل نوفمبر 1941 أي قبل إخضاع اليهود للقانون الألماني تم إحصاء 19.094 إسرائيلي متمدرس بالمدارس الابتدائية والإكماليات موزعين على الشكل التالي:

5869 من أصل 106.321 تلميذ أي 5،5 في مقاطعة الجزائر، و5016 من أصل 67.987 تلميذ أي 7،3% في مقاطعة قسنطينة و8209 من أصل 95.950 تلميذ أي 8،4% في مقاطعة وهران. أما بالنسبة للتعليم الثانوي، فتم عدّ 1387 إسرائيلي في ثانويات الجزائر من اجمالي 10.176 تلميذ أي 12،9%. ولعل الحضور القوي للطلبة الإسرائيليين نلمسه في قطاع التعليم العالي، حيث في سنة 1941 وبجامعة الجزائر لوحدها شكل الإسرائيليون ما نسبته 37% من اجمالي طلاب كلية الطب، 26،4% من اجمالي طلاب كلية الحقوق، 17،4% تخصص صيدلة، 16،8% تخصص علوم و10% من طلاب كلية الآداب كانوا إسرائيليين[70].

هذه الأرقام توضح لنا مدى توغل الطلاب الإسرائيليين في التعليم بمراحله الثلاث وهو ما سيؤدي حتما إلى التأثر بالثقافة والحضارة الغربيتين، ويصبح لكل فرد يهودي سواء كان رجلا أو امرأة الحرية في اختيار الزوج المناسب أو الزوجة المناسبة حتى وإن كانت أو كان خارج الملة الإسرائيلية، ويصبح ما على الآباء إلا الخضوع للأمر الواقع. كما أننا نجد أن الأغنياء من اليهود يوافقون على زواج فتياتهم من فرنسيين ذوي أصول أو حتى غير شرعيين[71] .

3.7. انتشار الشيوعية

بما أن الشيوعية مذهب إلحادي يؤمن بالمادة وحدها، ويكفر بالغيب وما شرعه الله[72]، هذا ما جعل كل من اليهود والأوروبيين الذين اعتنقوها يتحررون من الدين ومن عوائقه، وجعلت هذه الأفكار كل طرف ينظر إلى الآخر على أساس أنه شيوعي بغض النظر عن انتماءه للدين الأصلي، وهذا ما ساعد على توافق اليهود والأوروبيين ولدينا عدة أمثلة عن زواج مختلط بين اليهود والمستوطنين جمعت بينهم الشيوعية ونذكر منها:

زواج **"ألين بركو فيكز"** الشيوعية اليهودية التي تزوجت بالمناضل الشيوعي **"جون جافري"** سنة 1950 واستقرا الزوجان بمدينة سكيكدة[73]. ويبدو أن الشيوعية أثرت حتى على المسلمين، فاتخذوا زوجات شيوعيات يهوديات وهذا ما لم يكن مألوفا ومثال ذلك: زواج الشيوعية اليهودية **"شمويلي جيلبارت"** من **"بوعلي طالب"** الذي استشهد في سنة 1957، ولدينا أيضا **"شوراقي كوليت"** زوجة **"بوعلام خالفة"**[74].

8. المسلمون واليهود والزواج المختلط

تحدثنا عن زواج مختلط بين يهود الجزائر والأوروبيين عموما بمختلف أصولهم، وذكرنا انه رغم أنهم كانوا يشتركون في الجنسية الفرنسية وفي تحكيم القوانين العلمانية إلا أن الزواج المختلط بين الطرفين في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 بقي محتشما، ونسبه لم ترتفع إلا مع أربعينيات وخمسينيات نفس القرن. أما الحديث عن زواج مختلط بين المسلمين واليهود ورغم القرون الطويلة التي أمضاها الطرفان متعايشان سلميا في بلاد واحدة مشتركين في نفس اللغة والمأكل والمشرب والعادات، ورغم أيضا أن الدين الإسلامي لم يحرم زواج المسلمين من الكتابيات واليهوديات من أهل الكتاب، إلا أن مسألة الزواج المختلط بينهما لم تكن مطروحة إلا في حالات نادرة، وذلك لطبيعة الفارق العرقي والديني بين الطرفين، فلكل عقائده ومعتقداته فلم يكن اليهودي ليقبل أن تتخذ ابنته زوجا مسلما، ولم تكن الأسرة المسلمة أن تقبل أن يتخذ ابنهم زوجة يهودية، أما عن زواج المسلمة باليهودي فالأمر لم يكن مطروح تماما. وذلك لتحريم ذلك في الشريعة الإسلامية.

وقد طرح لنا كل من **"ريشار أيون"** و**"برنارد كوهين"** في كتابهما **"يهود الجزائر"** هذا الاشكال وهما يعرضان قصة حب بين فتاة يهودية اسمها **"ريزايلا"** وشاب مسلم قبائلي اسمه **"بلعمار"** فذكرا: **"في يوم عند ينبوع في دلس، الجميلة ريزايلا تعرفت بالقبائلي بلعمار ذو الوجه الجميل مثل الشمس لقد تحابا، أسلمي يقول باستمرار وسوف تصبحين زوجتي" "كن يهوديا تقول الساذجة ريزايلا وسوف نتحد إلى الأبد"** واحسرتاه، الجميلة أجبرت على الزواج من تاجر يهودي شيخ من بجاية، والقصة انكسرت"[75] .كما لدينا مثال

آخر عن مثل هذه العلاقات التي تعتبر محرمة سواء عند المسلمين أو اليهود وهي التي ذكرها **"مالك بن نبي"** في مذكراته حيث ذكر أنه كان له صديق اسمه **"شريف سنوسي"** وكان خياطا مولعا بحب فتاة يهودية لدرجة أنه اتجه إلى الشيخ **"الصادق بن خليل"** الذي كان يكتب الحروز، وعلى حسب بن نبي أنه كتب حرزا لشريف سنوسي[76].

وإن لم يذكر لنا مالك بن نبي كيف كانت نهاية القصة بين **"شريف" و"اليهودية"** إلا أنه وفي موضع آخر ذكر لنا أن أحد يهود تبسة واسمه **"مرالي"**– مع العلم أنه خلال هذه الفترة وهي فترة الثلاثينات من القرن 20 كان يوجد بتبسة جالية يهودية متواضعة قدرت على إثر إحصاء 1931 بـ: 335 يهودي مقابل 1723 أوروبي و5246 مسلم[77] لم كانت له شقة فوق المقهى الذي يتردد عليه بن نبي للاستماع إلى صوت إذاعة برلين في تلك الفترة، ويذكر بن نبي أن ذلك اليهودي كان يسرع الخطوة عندما يريد الدخول إلى شقته وذلك حتى يتجنب قدر الإمكان الاستماع إلى تلك الإذاعة "**وربما كان لديه سبب خاص هو أن ابته الحسناء أحبت وذهبت مع مختطف قلوب من سكان تبسة المسلمين، متسببة لأهلها في الوسط اليهودي بفضيحة لا يغفرها أبوها (مرالي) للمسلمين عامة**" [78]. إذن إذا كان زواج الأوروبيين من اليهوديات أو زواج اليهود من الأوروبيات فيه تحفظ من الطرفان فإن زواج المسلم من اليهودية يعتبر جريمة.

9. مواجهة يهود الجزائر المتشددين لخطر الزواج المختلط

سبق وذكرنا أن التعليم العلماني كان له الأثر الكبير في تغيير الذهنيات عند الشباب اليهود، حتى أصبح بإمكان المرأة اليهودية أن تختار لنفسها زوجا ولو كان غير يهودي ناهيك عن الرجال. كما ذكرنا أيضا أن الطلبة الإسرائيليين في دراساتهم العليا أصبح لهم ميل نحو الدراسات العلمية والدراسات الحرة والقانونية، أما المدارس الدينية فلم يعد يرتادها إلا أعداد قليلة من التلاميذ. هذا الاتجاه العام في اختيار الدراسات العليا بمدارس ومعاهد ومؤسسات مدنية قطع الصلة من عام 1870 بين اليهود وبين تكوينهم في الدراسات الدينية وشعر الحاخامين بخطر ذلك وبانسلاخ كثير من أهل الطائفة اليهودية، وهذا ما حمل مجلس العصبة الإسرائيلية سنة 1940 على اتخاذ ما يلزم من تدابير لتدارك الوضع وإيجاد معاهد جيدة ومختصة تقوم بالدراسات الدينية على وجه صحيح يتلاءم والنهضة الفكرية الجديدة ولا يبقى على الطريقة العميقة التي كان جاريا عليها بمدارس الربيين ونحوها[79]. وبالفعل ولمواجهة خطر هذا التعليم العلماني البحت والذي أوجد معه الزواج المختلط، ثم ارسال طلاب يهود لفرنسا لمواصلة الدراسة الدينية العالية. إلا أن هؤلاء أخذتهم مباهج الحياة الفرنسية وآثروا البقاء على الرجوع إلى الجزائر، واضطر مجلس العصبة الإسرائيلية إلى تأسيس مدرسة دينية بالجزائر سنة 1949 ولكنها لم تقم بشيء وتحول الدين عند عامة اليهود أو أكثرهم روحا عليا يجمع بينهم ويؤلف بين جاليتهم ويوحد صفوفهم لا عقيدة أو شريعة ملتزمة[80].

من جهته "**ريمون بنيشو**" دق ناقوس الخطر ونبه ما للزواج المختلط من آثار سلبية على الطائفة اليهودية وذلك من خلال كتابه: "**كتابات يهودية**" الصادر سنة 1957 حيث خصص فيه مقالتين عن التحذير

من الزواج المختلط استخرجهما من مجلة "**الأخبار اليهودية information Juive**" العددين نوفمبر 1954 وجانفي 1955 ومن خلال هذين المقالين[81]، ذكر باقي اليهود بأن: "**الزواج المختلط يشكل بالنسبة لإخواننا في الدين العتبة الأولى في طريق الإنكار، أول عقد تنازل**"[82]، وأضاف قائلا: "**أن وجود غير اليهودية في إحدى عائلاتنا يقدم سببا للانزعاج المتبادل الذي قد يغير صفو الانسجام الأسطوري. خطر شديد سيؤثر على مواضيع النقاش التي تثير اعجابنا...**"[83] من جهة أخرى نجد أن كل يهودي يعقد ارتباطا مختلطا، فإنه يعرض يهودية للعزوبية أو الارتداد.

إذن كيف يمكن مواجهة هذا الخطر؟ سؤال طرحه صاحب المقال وفي نفس الوقت يجيب عليه باقتراحه هذه الحلول التي لخصها فيما يلي: **"من خلال عمل إرادي بسيط، من خلال وعد تقطعه على نفسك منذ المراهقة أن لا أتزوج غير اليهودية، يجب على الآباء الحرص مسؤوليتهم كبيرة اتجاه هذه الدراما التي تمزقنا، ...، يهملون تدريس أبنائهم مبادئ العبرية. كيف لا يمكن أن نفهم بأن هذه الفجوة ليس لها سوى نتيجة واحدة هي التعتيم لدى الطفل بوعيه بانتمائه لإسرائيل وتمهيد الطريق لمزيد من الفشل الخطير؟ واجب الآباء مضاعف في هذا المجال، اجعل من أبنائك يهود فخورين اغرسوا فيهم أذواقا متواضعة، زوجوهم شبابا"**. ولم ينس صاحب المقال أن يذكر بأن الخطر مستعجل وأنه حان وقت الإشعار.[84]

خاتمة

في ختام هذا المقال تبين لنا أن الزواج المختلط بين يهود الجزائر والمستوطنين كان يتزايد باستمرار إلا إذا استثنينا فترة نهاية القرن 19م، وذلك بسبب تنامي ظاهرة معاداة السامية، ولكن مع مرور الوقت وجد اليهود أنفسهم يندمجون مع الفرنسيين من حيث لا يعلمون، وبعد أن كان مرسوم كريميو في البداية يشكل خطرا على طائفتهم، إلا أنهم اعتبروه فيما بعد المرسوم المخلص للطائفة، وأصبح بإمكان المستوطن أن يتزوج يهودية دون أن تتملكه عقدة نقص لأنها تخضع للقوانين الفرنسية، ونفس الشيء يقال إذا ما قرر اليهودي أن يتزوج أوروبية، وأصبح كل من اليهود والمستوطنون يشكلون مجتمعا واحدا.

الهوامش

1 – رشيدة فؤاد، **الحياة الأسرية والإجتماعية للمرأة اليهودية في نصوص اليهود الدينية المقدسة**، الدار البيضاء، المغرب، Force Equipement، 2013، ص22.

2 – فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجري الموافق لـ 14 و15ميلادي**، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011، ص11.

3 – محمد شكري سرور، **نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1979، ص26.

4 – صابر أحمد طه، **نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام**، القاهرة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص10.

5 – المرجع نفسه، ص10.

6 – محمد شكري سرور، المرجع السابق، ص57.

7 – رشيدة فؤاد، المرجع السابق، ص20.

8 – سفر التكوين، الإصحاح2، الآية 18.

9 – سفر اللاويين الإصحاح15، الآية 19-24.

10 – فضيل ناصري، **الزواج بالأجنبيات في الخطاب الديني اليهودي**، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق، 2014، ص6.

11 – محمد شكري سرور، المرجع السابق، ص60.

12 – سفر العدد، الإصحاح30، الآية 4-9.

13 – محمد شكري سرور، المرجع السابق، ص58.

14 – المرجع نفسه، ص26.

15 – رشيدة فؤاد، المرجع السابق، ص211.

16 – المرجع نفسه، ص178.

17 – الجوييم، أو الغوييم، كلمة عبرية وهي صيغة الجمع لكلمة **"جوي"** التي تعني **"شعب"** أو **"قوم"**، وقد استخدمت للإشارة للأمم غير اليهودية، وقد اكتسبت إيحاءات بالذم والقدح. ينظر: عبد الوهاب الميسري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد**. القاهرة، بيروت، دار الشروق، 1968، ص240.

18 – فضيل ناصري، المرجع السابق، ص26.

19 – المرجع نفسه، 31.

20 – المرجع نفسه، ص29.

21 – المرجع نفسه، ص06.

22 – سفر التكوين، الإصحاح27، الآية 3-4.

23 – عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص240.

24 – سفر التكوين، الإصحاح27، الآية 34-35.

25 – سفر التكوين، الإصحاح26، الآية 46.

26 – سفر الأمثال، الإصحاح7، الآية 1-5.

27 – فضيل ناصري، المرجع السابق، ص57.

28 – سفر الملوك الأول، الإصحاح11، الآية 1-7.

29 – سفر التثنية، الإصحاح7، الآية 1-4.

30 – فضيل ناصري، المرجع السابق، ص58.

31 – رشيدة فؤاد، المرجع السابق، ص40.

32 – فضيل ناصري، المرجع السابق، ص60.

33 – ابن كثير، **قصص الانبياء**، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص 227.

34 – فضيل ناصري، المرجع السابق، ص 60.

35 –المرجع نفسه، ص ص 60-61.

36 – مرسوم كريميو، نسبة إلى وزير العدل الفرنسي ذي الأصل اليهودي **"إسحاق كريميو"** (1796- 1880)، صدر هذا المرسوم في 24 أكتوبر 1870 من طرف حكومة الدفاع الوطني التي اجتمعت بمدينة **"تور"** الفرنسية، وقد نص على منح جميع الإسرائيليين الأهالي في عمالة الجزائر الجنسية الفرنسية. ينظر: فاطمة شيخ، " **قانون كريميو 24 أكتوبر 1870 تجنيس اليهود: الاختيارات الصعبة**"، الحوار المتوسطي، جامعة بلعباس، المجلد 15- 16، العدد مارس 2017، ص521.

37 – André Chouraqui, **la Saga Des Juifs d'Afrique Du Nord**, France, Hachette, 1972, p.209

38 – قاسمية، خيرية، **يهود البلاد العربية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015، ص283.

39 -Maurice Eisenbeth, **Le Judaïsme Nord-Africain, Etude Démographique sur Les Israélites Du Département De Constantine**, sans lieu, édition Pierre Braham, 1931, p77.

40 - Ibid, p77.

41 - Maurice Eisenbeth, **Les Juifs de l'Afrique du Nord, Démographie et Onomastique**, Alger, Imprimerie du Lycée,1936, p14.

42 - Maurice Eisenbeth, le judaïsme Nord-Africain, Op.Cit, p77.

43 - Ibid.

44 - André Chouraqui, Op.Cit, p209.

45 - Ibid, p216.

46 - Maurice Eisenbeth, Les Juifs de l'Afrique du Nord, Op.Cit, p14.

47 - فوزي سعد الله، **يهود الجزائر موعد الرحيل**، الجزء الثاني، الجزائر، دار قرطبة، 2005، ص40.

48 - أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص ص 147-148.

49 - Rymond Benichou, Ecrits Juifs, Alger, Edite par La Commission Culturelle Juive D'Algérie et le bureau Nord-Africain Du congrès juifs mondial, 1957, p187.

50 - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص71.

51 -Henri Msellati, **Les juifs d'Algérie sou le régime de Vichy**, Paris, L'Hamattan, 1999, p40.

52 -George Meynié, **L'Algérie Juive**, Paris, Albert Savine éditeur, 1887, p12.

53 - جورج مينيي، **تاريخ اليهود في الجزائر**، ترجمة: لبنى مسعود، سطيف، مكتبة عراس، 2016، ص96.

54 - دريفوس ألفريد (9 أكتوبر 1895- 12 جويلية 1935)، ضابط مدفعية فرنسي يهودي الأصل، حكم عليه بالسجن المؤبد سنة 1894 بتهمة الخيانة العظمى بعد أن اتهم بتسليم وثائق سرية للألمان.

55 - Henri Msellati, Op.Cit, p40.

56 - Ibid, p40.

57 - Ibid, p38.

58 - أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص150.

59 - Maurice Eisenbeth, Le Judaïsme Nord-Africain, Op.Cit, p78.

60 - Ibid, p78.

61 - Ibid, p78.

62 - Ibid, p78.

63 - André Chouraqui, Op.Cit, p209.

64 - Ibid, pp190-191.

65 - Danièle Iancu-Agou, Une Communauté Juive dans le Sud-Algérois Djelfa (1852-1962), Communautés juives des marges sahariennes du Maghreb, Jérusalem, Institut Ben-Zvi pour la recherche sur les communautés juives d'Orient, 1980, pp.181-182.

66 - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص33.

67 - André Chouraqui, Op.Cit, p.209

68 - خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص285.

69 - Maurice Eisenbeth, Le Judaïsme Nord-Africain, Op.Cit, p201.

70 - André Chouraqui, Op.Cit, p237.

71 - إسماعيل أحمد سميح حسن، **الاستيطان اليهودي في الجزائر 1830-1962**، الجزء الأول، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2014، ص147.

72 - محمد بن إبراهيم الحمد، **الشيوعية**، الرياض، دار بن خزيمة للنشر والتوزيع، 2002، ص03.

73 - رشيد خطاب، **الخاوة والرفاق**، ترجمة: محمد رضا بوخالفة ونسرين لولي، الجزائر، دار خطاب، 2013، ص107.

74 - رشيد خطاب، المرجع السابق، ص ص175-176.

75 - Richard Ayoun et Bernand Cohen, **Les Juifs d'Algérie deux mille ans d'histoire**, Paris, Claude Lattes, 1982, pp.152-153.

76 - مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، بيروت، دار الفكر المعاصر، 2016، ص125.

77 - Maurice Eisenbeth, Les Juifs de l'Afrique du Nord, Op.Cit, p14.

78 - مالك بن نبي، المصدر السابق، ص419

79 - أحمد سميح إسماعيل حسن، **الاستيطان اليهودي الجزائر 1919-1962**، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2009، ص202.

80 -المرجع نفسه، ص ص202-203.

81 - Rymond Benichou, Op.Cit, p247-256.

82 - Ibid, p248.

83 - Ibid, p250.

84 - Ibid, p251.